بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمانِ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون مَنْ ضَلَّ إلى الهدى، ويَصبرون منهم على الأذى، يُحيُون بكتاب الله الموتى، ويُبَصِّرُون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيَوْه، وكم من ضال تائه قد هدَوْه، فما أحسن أثرَهم على الناس، وأقبح أثرَ الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مُجْمِعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يُشَبِّهُون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين[1].

(١) مقتبس من كلام الإمام أحمد (رحمه الله) في مقدمة الرد على الزنادقة والجهمية، ص ٦. وأورد نحوه ابن وضاح في كتاب البدع والنهي عنها ص ١٠ عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بغير إسناد.

obeikandl.com

أما بعد:

فإن القرآن العظيم هو مأدبة الله (عز وجل)[١]، فيه نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، وهو الفصل ليس بالهزل، مَنْ تَرَكَه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عَدَلَ، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم[٢].

ولقد بين النبي ﷺ حروف القرآن كما بيَّن ما قد يَخفى من

---

(١) اقتباس من حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) مرفوعاً وموقوفاً، والصحيح وقفه، وقد أخرجه ابن المبارك في الزهد ص ٢٧٢، وأبو عبيد في فضائل القرآن (١/ ٢٤٠)، والدارمي (٢/ ٣٠٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٨٢)، وعبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٧٥)، وسعيد بن منصور في سننه (تحقيق الحميد ١/ ٤٣)، والحاكم (١/ ٥٥٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٣٨)، والمروزي (مختصر قيام الليل ص ١٥٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٠ ــ ١٣١) والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٢٥، ٣٤٣)، وابن حبان في المجروحين (١/ ١٠٠)، والخطيب في الجامع (١/ ١٠٧)، وابن الجوزي في العلل (١/ ١٠١ ــ ١٠٢)، وذكره الذهبي في الميزان (١/ ٦٦).

(٢) مقتبس من حديث رُوي مرفوعاً وموقوفاً، ولا يصح رفعه، وقد أخرجه جماعة من أصحاب المصنفات كما في: سنن الدرامي (٢/ ٣١٢، ٣١٣)، مسند الإمام أحمد (١/ ٩١)، مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٢)، سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن، حديث (٢٩٠٦)، (٥/ ١٧٢)، المعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ٨٤)، وابن نصر في قيام الليل (المختصر ص ١٥٧)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٢٦)، وانظر: شرح السنة (٤/ ٤٣٧، ٤٣٩)، مجمع الزوائد (٧/ ١٦٤).

معانيه؛ إذ إنَّ بِعْثته تدور على ذلك، كما أخبر (تعالى) عن هذا المعنى بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: آية ٤٤].

وإنما المقصود من إنزال القرآن فهمه والعمل به، ولم ينزل من أجل القراءة فحسب ــ مع أنها مطلوبة ــ كما لا يكفي فهم معانيه من غير العمل به، ولا يمكن العمل به من غير فهم معانيه.

وطريق فهم القرآن هي تدبر ألفاظه ومعانيه، والتفكر فيها، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: آية ٨٢]، وقال (تعالى): ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: آية ٢٤]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: آية ٢٩].

كما أن فهمه يحصل بتطلب تفسيره من كلام العلماء الراسخين في هذا الباب الشريف، الشارحين لآيات القرآن الكريم، والمبينين لمدلولاتها، سواء كان الأخذ عنهم مشافهةً، أو عن طريق مصنفاتهم.

وإن من العلماء الأفذاذ الذين بلغوا شأواً عظيماً في علم التفسير، العلَّامة المفسرَ الأصوليَّ محمد الأمين الشنقيطي (رحمه الله)، وهو وإن كان من المتأخرين، إلا أن سماع كلامه في التفسير يُذكر سامعه بالأئمة المتقدمين.

ومعلوم أن التأخر والمعاصرة لا يُطَفِّفَانِ حق العالم إذا كان متحققاً في العلم. فـ«ليس لقِدَمِ العهدِ يُفَضَّلُ القائل[1]، ولا لحِدْثَانِ

(١) هكذا ضبطه القرافي وجماعة (القائل) بالقاف، وذهب الزبيدي وجماعة إلى أنه بالفاء (الفائل) من: فال رأيه إذا ضعف. انظر: تاج العروس (١/ ٢٩).

عهدٍ يُهْتَضَمُ المُصيب، ولكن يُعطى كلٌّ ما يستحق»[١].

ذلك أن نتائج الأفكار لا تنقضي لانقضاء عصر بعينه؛ بل لكل عالم ومتعلم من ذلك حظ بحسب إِخَاذِه، وليس ثَمَّةَ ما يمنع أن يُدخر لبعض المتأخرين ما لم يُوهب لبعض المتقدمين، وعليه فلا عبرة بقول بعضهم: «ما ترك الأول للآخِر»!! فإن هذه الكلمة بالغة الضرر بالعلم؛ لكونها قاطعة للآمال عن تحصيله والإضافة فيه، كما لا يخفى. ولكن ينبغي أن يُقال: «كم ترك الأول للآخر». والشيء إنما يُستجاد ويُسترذل لجودته ورداءته لا لتقدم قائله أو تأخره[٢].

قال أبو محمد بن قتيبة (رحمه الله) في مقدمة (الشعر والشعراء): «ولم أسلُك فيما ذكرتُه من شعر كل شاعر مختاراً له سبيلَ من قلَّد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرتُ إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتَقَدُّمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرتُ بعين العدل على الفريقين، وأعطيتُ كلاًّ حظَّه، ووفرت عليه حقَّه، فإني رأيتُ من علمائنا من يستجيدُ الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيَّره، ويُرْذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأى قائله، ولم يَقْصُرِ الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مُشْتَرَكاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كلَّ قديم حديثاً

---

(١) ما بين الأقواس « » من كلام المبرد في «الكامل» (١/ ٤٣).

(٢) انظر: كشف الظنون (١/ ٣٩)، ولأحمد بن فارس (رحمه الله) كلام مفيد في هذا الموضوع نقله الأُستاذ عبد السلام هارون (رحمه الله) في مقدمة التحقيق لكتاب (المقاييس في اللغة) (١/ ١٥ ــ ٢٠).

في عصره، وكلَّ شَرَفٍ خارجيَّةً[١] في أوَّله، فقد كان جرير والفرزدقُ والأخطل... وأمثالهم يُعَدُّون مُحْدَثين، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا بِبُعْدِ العهد منهم، وكذلك يكون مَنْ بعدهم لِمَن بَعْدَنَا، فكل من أتى بحَسَنٍ من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنه؛ كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه». اهـ[٢].

وقال في مقدمة (عيون الأخبار): «وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المُحدَثين، إذا كان متخيَّرَ اللفظ لطيفَ المعنى لم يُزْرِ به عندنا تأخُّرُ قائلِه، كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدُّمُه، فكل قديم حديث في عصره، وكل شرف فأوله خَارجيَّة، ومن شأن عوام الناس رفع المعدوم، ووضع الموجود، ورفض المبذول، وحب الممنوع، وتعظيم المتقدم وغفران زلته، وبخس المتأخر والتجني عليه، والعاقل منهم ينظر بعين العدل لا بعين الرضا، ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم». اهـ[٣].

وقال ابن مالك (رحمه الله) في مقدمة التسهيل: «وإذا كانت العلوم مِنَحاً إلٰهية، ومواهب اختصاصية، فغير مُستبعد أن يُدَّخَرَ لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين»[٤]. اهـ.

---

(١) الخارجيَّة: خيل لا عِرْقَ لها في الجودة، فتُخرَّج سوابق، والخارجي: الذي يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم، وتقول: «خرجت خوارج فلان» إذا ظهرت نجابته. انظر اللسان (مادة: خرج) (١/٨٠٨)، القاموس (مادة: خرج) ص ٢٣٧.

(٢) الشعر والشعراء ص ٢٣ ــ ٢٤.

(٣) عيون الأخبار (١/ م ــ ن).

(٤) المساعد على تسهيل الفوائد (١/ ٣).

وقال الزبيدي (رحمه الله) في مقدمته لشرح القاموس: «وكأني بالعالم المُنصف قد اطلع عليه فارتضاه، وأَجَال فيه نَظْرةَ ذي عَلَقٍ فاجتباه، ولم يلتفت إلى حُدوث عهده وقرب ميلاده؛ لأنه إنما يُستجَاد الشيء ويُستَرذل لجودته ورداءَته في ذاته لا لِقِدَمِه وحُدوثه، وبالجاهل المُشِطِّ قد سمع به فسارع إلى تمزيق فروته وتوجيه المَعَاب إليه... والذي غَرَّهُ أنه عَمَلٌ مُحْدَثٌ ولا عمل قديم، وحسبك أن الأشياء تُنْتَقَدُ أو تُبهرجُ لأنها تَليدةٌ أو طَارِفَة». اهـ[1].

وقد أحسن القائل[2]:

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ... ويرى للأوائل التقديما
إن ذاك القديم كان حديثاً ... وسَيُمْسِي هذا الحديث قديما

والشيخ الأمين (رحمه الله) عالم متضلع في فنون عدة من أبرزها التفسير. وقد مضى قوله في سياق ترجمته: «لا توجد آية في القرآن إلا درستها على حدة». اهـ.

وللشيخ (رحمه الله) كتاب في تفسير القرآن بالقرآن يُعد من أحسن التفاسير وأجودها.

وإذا كان علم التفسير معدوداً في جملة العلوم الضرورية، وكان الشيخ الأمين بهذه المنزلة من الرسوخ فيه، فحق على طلبة العلم أن يُعنوا بما تركه الشيخ (رحمه الله) في هذا الباب.

وإن من هذه التركة النفيسة: عشرات من الأشرطة الصوتية التي تحوي كثيراً من دروس الشيخ (رحمه الله) في التفسير.

---

(١) تاج العروس (١/ ٥).

(٢) البيتان في كشف الظنون (١/ ٣٩)، إضاءة الراموسي (٢/ ١٠٩)، تاج العروس (١/ ٢٩).

وقد كنتُ أَعْجَبُ من إغفال كتابتها وإخراجها للناس مقروءة كي يعم الانتفاع بها؛ ذلك أن تلك الأشرطة يصعب الانتفاع بها بسبب عدم وضوحها في الغالب، سواء من جهة ضعف التسجيل آنذاك، أو من جهة سرعة الشيخ (رحمه الله) في الإلقاء. فصح العزم على إخراج ذلك خدمة لكتاب الله (تعالى)، ووفاءً للشيخ المفسِّر (رحمه الله تعالى).

ولا يخفى أن مثل هذا الأمر يتطلب جهداً كبيراً من ناحيتين:

الناحية الأولى: صعوبة كتابة محتويات الأشرطة لما سبق.

الناحية الثانية: صعوبة توثيق المادة العلمية التي يوردها الشيخ (رحمه الله)؛ ذلك أن درسه حافل بالمعلومات المختلفة من شتى الفنون، من تفسير، ولغة، وإعراب، وسيرة، وتاريخ، وأصول، وقراءات، وغير ذلك.

ومما يزيد التوثيق صعوبة أن الشيخ (رحمه الله) لا يُعنى بالعزو إلى كتب التفسير أو أعلامه، الأمر الذي قد لا يتميز معه بعضُ ما أخذه من غيره مما فتح الله به عليه.

لمحة عن دروس الشيخ (رحمه الله) في التفسير[1]:

درَّس الشيخ (رحمه الله تعالى) التفسير في أماكن متعددة، منها:

---

(١) انظر ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، للسديس ص ٦٩، ترجمة الشيخ (رحمه الله) الملحقة في آخر الأضواء ص ٣٩ ــ ٤٨.

obeikandl.com

١ ــ المسجد النبوي، وقد أتم فيه تفسير القرآن كاملاً، وتوفي ولم يتم الثانية، وهي هذه[١].

وقد كان هذا الدرس يُعقد في كل يوم على مدار العام. كما ذكر ذلك بعض تلامذته الذين لازموا درسه في التفسير منذ عام (١٣٦٩هـ).

ثم صار الدرس مقتصراً على الإجازة الصيفية منذ سنة (١٣٧١هـ) حين انتقل الشيخ (رحمه الله) إلى الرياض في ذلك العام. فكان الشيخ (رحمه الله) يعود إلى المدينة النبوية ــ في الإجازة ــ ويواصل هذا الدرس في مسجد رسول الله ﷺ.

وقد استمر الأمر على ذلك إلى أن انتقل الشيخ (رحمه الله) إلى المدينة النبوية مرة ثانية عام (١٣٨١هـ) ليُدرِّس في الجامعة الإسلامية.

وفي سنة (١٣٨٥هـ) صار وقت الدرس مقتصراً على شهر رمضان فقط؛ فكان يتوقف سائر العام، فإذا جاء رمضان أكمل التفسير من حيث وقف في العام قبله وهكذا.

وقد استمر الأمر على هذا الحال إلى وفاة الشيخ (رحمه الله) عام (١٣٩٣هـ).

وكان درسه في رمضان يبدأ بعد صلاة العصر مباشرة ويستمر إلى قرب أذان المغرب، وربما كان وقت الدرس قصيراً لعارض، كما وقع للشيخ (رحمه الله) عند تفسيره لسورة الأعراف، فبعد أن فرغ من الكلام على الآية رقم (٩٧) منها توقف معتذراً بقوله: «وقد نقتصر

(١) تجد ذلك صريحاً عند تفسير الآية رقم (٩٩) من سورة الأعراف.

obeikandl.com

الآن على هذه الكلمات القليلة لأن البارحة أخذنا دواء أثَّر علينا، فمعي الآن بعض الأثر». اهـ.

٢ ــ دار العلوم بالمدينة النبوية، وذلك في عامي (١٣٦٩ و ١٣٧٠هـ) إلى أن انتقل الشيخ (رحمه الله) إلى الرياض.

٣ ــ المعهد العلمي، وكليتي الشريعة، واللغة العربية بالرياض. وذلك لما انتقل إليها عام (١٣٧١هـ)، وبقي على ذلك إلى عام (١٣٨١هـ) حين انتقل إلى المدينة النبوية.

٤ ــ الجامعة الإسلامية. حيث دَرَّس فيها التفسير والأصول إلى أن توفي، إضافة إلى آداب البحث والمناظرة كما سيأتي في ترجمته.

٥ ــ في بيته في مدينة الرياض، أو بعد انتقاله إلى المدينة النبوية (وهي دروس خاصة لبعض تلامذته).

يقول تلميذه الشيخ عطية (رحمه الله): «ولم يكن لي معه (رحمه الله) من وقت مُعَيَّن، مع كثرة الإخوان الدارسين عليه، المقيمين معه في بيته، إلا وقت واحد، هو ما بين المغرب والعشاء، لمدة سنتين دراسيتين ونحن بالرياض، قرأت خلالهما تفسير سورة البقرة»[1]. اهـ.

(١) ترجمة الشيخ (رحمه الله) لتلميذه الشيخ عطية (رحمه الله) في آخر الأضواء (٩/ ١٤).

obeikandl.com

منهج الشيخ (رحمه الله) في تدريس التفسير[١]:

كان لدرس الشيخ (رحمه الله) في التفسير من حيث التوسع وعدمه ــ كما ذكر أحد تلامذته[٢] ــ ثلاثة أحوال:

الأولى: الإسهاب والتوسع. وعلى هذه الحال كانت دروسه في المسجد النبوي.

الثانية: التوسط بين التوسع والاقتضاب. وهذه حال دروسه في الجامعة في الأحوال العادية.

الثالثة: الاقتضاب الشديد. وهو المرور السريع على بعض المفردات في الآية، والإشارة السريعة إلى بعض معانيها، وكان يلجأ إلى ذلك في آخر السنة الدراسية عندما يرى أنه لا يمكن إكمال المنهج المقرر بأسلوب الحالة الثانية.

وسوف أقتصر في الكلام هنا على الحالة الأولى؛ لأنها هي التي تتعلق بغالب المادة التي بين أيدينا.

لقد كان درس الشيخ (رحمه الله) يمتاز بتسخير جميع علوم العربية وغيرها من العلوم الإسلامية في تفسير كتاب الله (تعالى)، ومحاكمة الآراء والمعاني التي تقال في الكلمة أو الآية إلى ما غلب في القرآن نفسه، ثم تفسيره بالسنة، ثم بما ورد عن السلف، مع التعمق في فهم ذلك بالأساليب العربية[٣].

---

(١) انظر: ترجمة الشيخ لتلميذه الشيخ عطية (رحمه الله) في آخر الأضواء (٩/ ٤٠)، علماء ومفكرون عرفتهم (١/ ١٨١)، ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، للسديس ص ٢٢٢.

(٢) معارج الصعود إلى تفسير سورة هود ص ١٤.

(٣) المصدر السابق ص ١١.

كانت حلقة الدرس تفتتح بآي من السورة المقصود تفسيرها، يتلوها أحد التلاميذ ــ وهي بمعدل خمس آيات تقريباً ــ فإذا فرغ القارىء شرع الشيخ في التفسير مبتدئاً بالمناسبة بين الآية وما قبلها في بعض الأحيان، ثم يعرض للمفردات اللغوية بحيث يعرض معانيها واشتقاقاتها وكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد، مستعيناً على ذلك بما لا يحصى من شواهد اللغة[١]، ومن ثم يتناول العلائق التركيبية بين المفردات، فيعرض لضروب القراءات الواردة فيها مع عزوها وتوجيهها، كما يذكر وجوه الإعراب وما تقرره من المدلولات، فإذا انتهى من ذلك صرف الأذهان إلى الاستنباط الفقهي، مع ذكر الخلاف والأدلة والترجيح، مستعيناً على ذلك بكل ما يتطلبه المقام من علوم اللسان، والبيان، والأصول، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وما يتصل بذلك من العموم والخصوص والإطلاق والتقييد، ولا يفوته أن يربط بعض المعاني ببعض الوقائع المشابهة على صورة تُثري المعرفة، وتعمق أسباب الإقناع.

وإذا كان المضمون قصصياً عمد إلى عناصر القصة، فاستخرج عبرها، وكشف نُذُرها، وقاس ما فيها من صور الماضي على ما يعايشه الناس من أحداث الحاضر[٢]، فكان كثير الربط بين هذا

---

(١) وربما كانت بعض تلك الشواهد تحمل معاني غير مستحسنة، وقد برر الشيخ (رحمه الله) إيرادها بقوله: «وقصدنا بهذا الكلام الخبيث بيان لغة العرب، لا المعاني الخسيسة التافهة؛ لأن معاني لغة العرب يُستفاد منها ما يعين على فهم كتاب الله وسنة رسوله، وإن كان مُفْرَغاً في معاني خسيسة تافهة، فنحن نقصد مطلق اللغة لا المعاني التافهة التي هي تابعة لها». اهـ من كلامه على الآية رقم (٢) من سورة الأعراف.

(٢) علماء ومفكرون عرفتهم (١/ ١٨١).

وهذا، فتجده يتحدث عن أسباب ضعف المسلمين اليوم، وعن الموقف من الحضارة الغربية، ولزوم الأخذ بأسباب القوة، وأسباب النصر والتمكين... وغير ذلك مما تجده في مواضعه من هذه الدروس.

وهكذا حينما يعرض لغزوة من الغزوات فإنه يستطرد في ذكر تفاصيلها المختلفة، وقد قال (رحمه الله) عند تفسير الآيات المتعلقة بغزوة حنين من سورة براءة: «ونحن دائماً في هذه الدروس إذا جاءت غزوة من مغازي رسول الله ﷺ في الآيات القرآنية نفصلها ونذكر تفاصيلها لتمام الفائدة، كما أوضحنا فيما مضى غزوة أُحد في سورة آل عمران، وغزوة بدر في سورة الأنفال، وسيأتي في سور القرآن العظيم أكثر مغازيه ﷺ». اهـ.

وإذا كانت الآية المفسرة مما يتعلق به بعض المبتدعة فإنه ينبه على ذلك ثم يستطرد في الرد عليهم، وقد قال عند تفسير الآية رقم (١٠٧) من سورة الأعراف حين عرض لشبهة الجبر والقدر: «ونحن في هذه الدروس دائماً نبين كيفية رد هذه الشبه». اهـ.

وكان (رحمه الله) كثيراً ما يعرض السؤال الذي يتوقع انقداحه في أذهان السامعين ثم يجيب عنه، وقد قال عند تفسير الآية رقم (٣٧) من سورة التوبة: «إن من عادتنا التي نجري عليها في هذه الدروس أن نتعرض لما نظن أنه يسأل عنه طلبة العلم». اهـ وهذا تجده مبثوثاً في هذا التفسير في ما يقرب من سبعين موضعاً.

وكثيراً ما يقرن الشيخ ذلك كله بالوعظ والتذكير بالاستعداد للآخرة واستحضار المراقبة لله (عز وجل).

وقد يستطرد في بعض الأحيان في قضية واحدة تستغرق الدرس كله ــ وهذا قليل فيما وقفت عليه ــ كما فعل عند الكلام على قوله (تعالى) من سورة الأعراف: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: آية ١٢] حيث أطال في الرد على ابن حزم في رده القياس، كما ستقف على ذلك في موضعه من سورة الأعراف.

وكذلك عند الكلام على قوله (تعالى) من السورة نفسها: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: آية ٥٤] حيث بسط الكلام على مسألة الصفات.

وكذا في تفسير قوله (تعالى): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: آية ٥٧] حيث أطال النَّفَس في الرد على أهل الفلك.

وربما أحال إلى بعض كتبه، كما نرى ذلك عند كلامه على المجاز أثناء تفسير الآية رقم (٢١) من سورة براءة.

ومما يُذكر في هذا المقام مما يدل على غزارة تلك الدروس بالعلم، أن الشيخ (رحمه الله) حينما عُرض عليه درسه السابق المتعلق بالرد على ابن حزم في إنكار القياس ــ مُفرَّغاً من الشريط المسجَّل بعد سنة من إلقائه ــ وسمعه الشيخ بصوته، قال: «لولا أني أسمع صوتي بأذني وأنت ــ يعني تلميذه الشيخ عطية ــ أتيتني بها مكتوبة؛ ما صدقت أن شخصاً يقول هذا ارتجالاً»[1].

(١) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، للسديس ص ٢٢٢.

ولمَّا راجعه أحد تلامذته في تخفيف مستوى الدرس، أجاب بقوله: «إن الله يفتح على المرء ما لم يكن يتوقع، ثم إن المسجد يجمع عجائب من أجناس مختلفة، ويكفيني واحد يحمل عني ما بَلَّغْتُ مما عندي»[١]. اهـ.

وقد نبه الشيخ (رحمه الله) على ذلك عند الكلام على قوله (تعالى) من سورة براءة: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾... [التوبة: آية ٤٤] لما تكلم على بعض النواحي الإعرابية واللغوية المتصلة بالآية، فقال بعد ذلك: «ونحن نذكر هذه الأشياء العربية، وإن كان أكثر المستمعين لا يفهمونها؛ لأنَّا نريد أن تكون هذه الدروس القرآنية يستفيد منها كل الحاضرين على قدر استعداداتهم، والله يوفق الجميع للخير». اهـ.

وذكر (رحمه الله) بعض التحقيقات اللغوية في موضع آخر، ثم عقب ذلك بقوله: «فنحن ــ أيها الإخوان ــ نذكر هذه المناسبات؛ لأنَّا نعلم أن القرآن العظيم هو مصدر العلوم، وله في كل علم بيان، فنتطرق الآية من وجوهها، وقصدنا انتفاع طلبة العلم؛ لأن القرآن أصل عظيم تُعرف به أصول التصريف، والنحو، وأصول الفقه، والتاريخ، والأحكام، إلى غير ذلك من جميع النواحي، فنحن جرت عادتنا بأن نتطرق الآية من جميع نواحيها بحسب الطاقة لينتفع كل بحسبه»[٢]. اهـ.

وقال عند تفسير قوله (تعالى): ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾... [التوبة: آية ٣٤]: «ونحن ــ عادةً في هذه

(١) المصدر السابق.

(٢) ذكره عند تفسير الآية (١٠١) من سورة الأعراف.

الدروس ــ إذا مررنا بآية من كتاب الله هي أصل باب من أبواب الفقه نتعرض إلى مسائل الكبار، ونبين عيونها ومسائلها التي لها أهمية». اهـ.

ولم يكن الشيخ (رحمه الله) يترك الحديث عن الأحكام المتعلقة بالآية نظراً لأن موضوعها قد عُطِّل أو كاد في هذا العصر أن يُعطَّل، فنجده عند الكلام على قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾... [الأنفال: الآية ٤١] يقول: «وهذه الآية الكريمة من سورة الأنفال قد تضمنت أحكاماً كثيرة من أحكام الجهاد، ومن أحكام الغنائم، وقد يحتاج لها المسلمون؛ لأنا نرجو الله (جل وعلا) أن يرفع علم الجهاد ويقوي كلمة لا إله إلا الله، وأن تخفق رايات المسلمين في أقطار الدنيا فيحتاجون إلى تعلم ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أحكام الجهاد. ولما كان القرآن العظيم هو مصدر جميع العلوم؛ لأنه الكتاب الذي حوى جميع العلوم، وكانت أصول جميع الأشياء كلها فيه أردنا هنا أن نبين جُملاً من الأحكام التي أشارت إليها هذه الآية الكريمة». اهـ.

وقد ينسى الشيخ (رحمه الله) مسألة يرغب في عرضها عند تفسيره للآية فيستدرك ذلك في الدرس الذي يليه ويتكلم عليها قبل أن يشرع في تفسير الآيات التي بعدها كما وقع عند تفسير الآية رقم (٣٧) من سورة براءة. ولربما وقع له ذهول عن أحد الأقسام التي هو بصدد الحديث عنها فلا يذكره، ثم ينبه على ذلك في مناسبة أخرى تماثلها، كما في كلامه على مادة (بَيَنَ) والمعاني التي تأتي لها في حال لزومها وتعديها، فقد تكلم عليها في سبعة مواضع، ثلاثة في الأنعام وأربعة في الأعراف، وقد قال عند كلامه عليها في الموضع

السادس وذلك ضمن تفسير الآية رقم (١٠١) من سورة الأعراف: «وقد ذكرنا فيما مضى في الكلام على قوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾[الأنعام: الآية ١٥٧] تصريف هذه الكلمة وما جاء من أمثلتها في القرآن ببعض أمثلتها، وكان ذلك الذي ذكرنا هنالك سقط منه قسم نسياناً، وكنا نتحرى إن جاءت لها مناسبة أخرى أن نبين القسم الذي سقط من كلامنا سهواً لئلا يضيع على بعض طلبة العلم الذين يسمعون هذه الدروس. . .» إلى آخر ما ذكره (رحمه الله).

ومع هذه الغزارة في المعلومات؛ فقد كان الشيخ (رحمه الله) حين يُلقي درسه كالسيل المنحدر؛ فهو يُسرع في الإلقاء، وتتوارد عليه هذه المعلومات المتنوعة، التي تمده بها تلك الذاكرة النادرة، فيضع كل معلومة في موضعها، فتأتي متسقة مترابطة، كل ذلك في لغة عالية، لا لحن فيها ولا سوقية[1].

ومع هذا الإسراع في العرض، بالإضافة إلى ذلك الكم الهائل من المعلومات المتنوعة، مع ما في ضمن ذلك من عزو للقراءات إلى قارئيها، والأحاديث إلى مخرجيها، والأقوال والمذاهب الفقهية لأصحابها، والأشعار والشواهد لقائليها، إلى غير ذلك مما عرض له في هذا التفسير؛ فإنك مع ذلك كله يندر أن تقف له على غلط مُحَقَّق، وقد تتبعت كل ما يذكره في هذا التفسير بغية توثيقه فهالني قوة ضبطه وحفظه وإتقانه. ولعل من الطريف أن أذكر أن الشيخ (رحمه الله) عند كلامه على القراءات في معرض تفسيره للآية رقم (٦١) من سورة براءة أخطأ فنسب قراءة الخفض في قوله

(١) انظر: علماء ومفكرون عرفتهم (١/ ١٨٢).

تعالى: ﴿ورحمةٍ﴾ إلى الكسائي، فترددت في التعليق على ذلك لما عهدته من ضبطه وحفظه، ثم وجدته بعد أن جاوزها وتكلم على بعض المسائل يرجع ويقول: «وأما على قراءة حمزة الذي قرأ ﴿ورحمةٍ﴾ بالخفض ـ هو حمزة لا الكسائي ـ أما على قراءة حمزة...» إلى آخر ما ذكر.

ولربما عزا الحديث إلى بعض المصنفات فتطلبته فيه مرة بعد مرة بشتى الطرق المعروفة في تخريج الحديث حتى إذا كدت أن أجزم بعدم وجوده فيه وجدته بعد ذلك في غير مظانه.

هذا، وقد جرى كثير من المفسرين على إيراد الأدلة والتفصيلات المختلفة عند أول مناسبة تعرض لهم، ثم إذا تكرر نظائر لذلك فإنهم يكتفون بالإشارة لما حرروه في الموضع المتقدم، وهذا أمر يفيد في اختصار حجم الكتاب بلا ريب وإن كان يؤثر على القارىء كما لا يخفى، وقد جرى على هذه الطريقة الشيخ نفسه في كتابه أضواء البيان. وأما الطريقة الثانية وهي أن يبين ما احتاج إلى بيان في كل موضع وإن كان ذلك متكرراً، فهذه الطريقة أنفع للقارىء من التي قبلها خاصة في التفسير، يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن سعدي (رحمه الله): «اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني في معانيها ولا أكتفي بذكري ما تعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة؛ لأن الله وصف هذا الكتاب أنه ﴿مَّثَانِيَ﴾ ثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام وجميع المواضيع النافعة لحِكَم عظيمة، وأمر بتدبره جميعه لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح

الظاهر والباطن وإصلاح الأمور كلها». اهـ[١]. ثم إن الحاجة لذلك تعظم إذا كان التفسير درساً يُلقى في سنين متطاولة في مواسم معينة مع ما بينها من التباعد في المدة وما يحصل مع ذلك من النسيان لدى السامعين إضافة إلى تجدد الكثير من الوجوه في كل مرة؛ ولذا جرى الشيخ (رحمه الله) في هذا التفسير على بيان الآية من جميع الوجوه مع صرف النظر عن كون ذلك يقع متكرراً، فنجده يبين أن ﴿لَعَلَّ﴾ تأتي لمعنى التعليل في جميع القرآن إلا في موضع واحد؛ يذكر ذلك في أحد عشر موضعاً، وينبه على الفرق بين النبأ والخبر في تسعة مواضع، كما نجد بعض القضايا يكررها في ثمانية مواطن كبيان الفرق بين الخوف والحزن، ولزوم الحمل على ظاهر القرآن إلا لدليل، وأن الشيء قد يُقصر على بعض أفراده؛ لأنهم المنتفعون به، وقضية الحكم بغير ما أنزل الله، وأن علم الغيب يختص بالله (عز وجل)، وهناك بعض المسائل التي تكررت في سبعة مواضع كالكلام على أطوار خلق الإنسان، وأن الله خلق الخلق ليختبرهم في إحسان العمل، وشرحَ الأُسس الثلاثة التي يُبنى عليها الاعتقاد في باب الأسماء والصفات، والرد على القدرية القائلين بأن الله لم يشأ الكفر والمعاصي، والمناظرة المشهورة التي وقعت بين أبي إسحاق الإسفرائيني والقاضي عبد الجبار المعتزلي في القدر، وغير ذلك مما تكرر هذا التكرر في هذا التفسير، وأما القضايا التي تكررت دون ذلك فهي كثيرة لا أطيل بذكرها، علماً بأن ما بأيدينا من هذه الدروس إنما يمثل أجزاء قليلة من هذا التفسير المبارك، فكيف لو وُجد كاملاً؟

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٨.

موقفه من الروايات الإسرائيلية:

إن المطالع لكتب التفسير يجد أن عامتها لم يسلم من دخول الروايات الإسرائيلية على تفاوت بينها في ذلك، فمن مُقِلٍّ ومن مُسْتكثر، مع أن التفسير في غُنية عنها، إلا أن كثيراً من المفسرين قد أَوْلِعُوا بالتتبع لتفاصيل لا طائل تحتها ولا فائدة في معرفتها، كما نبه الشيخ (رحمه الله) على ذلك عند تفسير الآية رقم (٧٣) من سورة البقرة؛ ولذا نرى الشيخ في هذه الدروس لا يكاد يُورد شيئاً منها إلا ما ندر، ثم ينبه على ذلك بعد إيراده أو قبله، كما قال عند تفسير الآية (٤٨) من سورة الأعراف: «وستأتي قصة الرجل في سورة الصافات؛ لأن الله ذكر في الصافات قصة رجل وأجملها، والمفسرون يبسطونها ويشرحونها؛ إلا أن شرحهم لها وبسطها من القصص الإسرائيلية التي لا يُعوَّل عليها...». اهـ. ثم أورد القصة، وكما في كلامه على الآية رقم (١٦٨) من سورة الأعراف حيث يقول: «وجرت عادة المفسرين أن يذكروا قصة غريبة عنهم في آية ذكرناها قبل هذا من سورة الأعراف. ثم ذكر الآية والقصة المشار إليها ثم عقب ذلك بقوله: هكذا يقولون، وتكثر هذه القصة... في كلام المفسرين عند هذه الآية الكريمة، وقد ألمحنا بالآية ولم نذكرها لأنها لم يثبت عندنا فيها شيء». اهـ، وهكذا عند كلامه على الآية رقم (١٧٥) من سورة الأعراف حيث ذكر بعض الأقوال التي مُعَوَّلُها على الإسرائيليات ثم عقب ذلك بقوله: «وكل هذه إسرائيليات» ثم نقل كلاماً من قبيل الإسرائيليات وعقبه بقوله: «وهذه إسرائيليات لا معول عليها يذكرها المفسرون» ثم نقل كلاماً لبعضهم من ذلك القبيل وعقبه بقوله: «وغير هذا من روايات كثيرة إسرائيلية يحكيها المفسرون في تفسير

هذه الآية من سورة الأعراف لا طائل تحتها ولا دليل على شيء منها». اهـ.

وهذا يُعد مزية لهذا التفسير كما لا يخفى.

وكان من عادته (رحمه الله) أن يختم الدرس بدعاء يُؤَمِّنُ عليه مَنْ حضر، وقد علل ذلك بقوله عند تفسر الآية رقم (٥٥) من سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾: «ونحن وإن كنا نعلم أن الإخفاء في الدعاء أفضل من [الجهر] به وندعو غالباً في هذا المجلس دعاءً ظاهراً، قصدنا به أن يسمعنا إخواننا ويُؤَمِّنُون لنا فنكون مجتمعين على الدعاء في هذا الشهر المبارك، ولو أسررنا الدعاء لما سمعوه ولما أَمَّنُوا لنا، والمُؤَمِّن أحد الداعِيَيْن...» إلى آخر ما ذكر.

القيمة العلمية لهذه الدروس:

يمكن أن أُلخص الكلام على هذه القضية في الأمور الآتية:

١ ــ علو كعب صاحبها في العلم، ورسوخه في التفسير، الأمر الذي يجعل لاختياراته وترجيحاته قيمة معتبرة.

٢ ــ غزارة المادة العلمية التي احتوتها هذه الدروس[(١)]؛ فهي ــ كما

---

(١) وإذا أردت أن تعرف حقيقة ذلك فاعلم أن هذا القدر الذي وقفنا عليه من هذا التفسير المبارك لا يمثل إلا أجزاء قليلة من القرآن لا تتجاوز الأربعة، ومع ذلك تجد فيها من الأحاديث والآثار ــ من غير المكرر ــ ما يقارب الخمسمائة، وفيها من الأشعار والشواهد والمنظومات ما يزيد على ستمائة بيت، وفيها من القراءات ما يقارب خمسين ومائتي قراءة، وأكثر من عشرين ومائة فرع فقهي، وفيه نحو هذا الكم من المسائل المتعلقة بالعقيدة، كما تجد فيه أكثر من سبعين قاعدة من القواعد المتنوعة، وما يقرب من سبعين إشكالاً أجاب عنها، إضافة =

سبق ــ تشتمل على معلومات كثيرة مستقاة من مُختلف العلوم المحتاج إليها في التفسير، منها ما هو موجود في بعض كتب التفسير، ومنها ما هو مفرق في كتب تتعلق بفنون أخرى كتاريخ ابن جرير، وفتح الباري، وكتب اللغة وغيرها، إضافة إلى بعض الفوائد والشواهد التي تلقاها الشيخ (رحمه الله) عمن أخذ عنهم العلم.

٣ ــ تجد في هذه الدروس كثيراً من الاستنباطات العلمية التي تَوَصَّل إليها الشيخ بعد اطلاع واسع، وفهم ثاقب، ونظر صحيح.

٤ ــ من الأمور الجلية في هذه الدروس أن الشيخ (رحمه الله) حينما يلقيها ليس هو مجرد ناقل يسرد ما قرأ فحسب، بل نجده ينقل كلام العلماء، ويقارن بين تلك المنقولات ويناقشها، ويختار منها ما يترجح لديه.

٥ ــ في هذه الدروس تقف على نموذج رفيع من توظيف القواعد والضوابط العلمية في الفهم والاستنباط والترجيح. وهذا من أنفع الأمور التي يحتاج إليها طالب العلم.

٦ ــ تشتمل هذه الدروس على بيان مواطن العبر في القرآن، وربط ما جاء فيه بحياة الناس وواقعهم؛ فالشيخ لا يشرح الآيات على أنها تخاطب قوماً ذهبوا وقضوا، بل يبينها بطريقة تجعل السامع يعيش معها كلمة كلمة، وآية آية، حتى يدرك أنه مخاطب بها.

= إلى ما يذكره من الفروق المتنوعة وهي تقارب الخمسين فرقاً، فضلاً عن القضايا الإعرابية والصرفية والبلاغية وغير ذلك.

٧ ــ يتعرض الشيخ (رحمه الله) في هذه الدروس لتحليل كل كلمة في الآية، ويبين معناها وما تدل عليه، كما يبين أصل مادتها وهكذا. فهو لا يترك شاردة ولا واردة إلا ويتكلم عليها غالباً. وبهذا تدرك فرقاً جلياً بين هذه المادة التي بين يديك وبين ما ذكره الشيخ (رحمه الله) في كتابه (أضواء البيان)؛ إذ أنه في (الأضواء) لا يتعرض لتفسير جميع الآيات، بل يتكلم على بعضها، كما لا يتطرق إلى تفسير جميع الألفاظ في الآية التي يفسرها؛ ذلك أنه قصد من تأليفه أمرين اثنين ــ كما صرح بذلك في مقدمته[١] ــ هما:

١ ــ بيان القرآن بالقرآن.

٢ ــ بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المُبَيَّنَة.

وقفة مع تسجيل دروس الشيخ (رحمه الله):

يبدو أن دروس الشيخ (رحمه الله) في الكلية لم تكن تُسجل صوتياً؛ إذ يقول أحد تلامذته في الكلية: «ولم نكن في ذلك الوقت نفكر في إحضار مسجل للصوت لأسباب: منها كبر حجم المسجلات، حيث يصعب حملها مع حمل الكتب، ومنها أنها تحتاج إلى أشرطة كثيرة قد يصعب على الطالب شراؤها، لقلة النفقة»[٢]. اهـ.

أما في المسجد النبوي فقد كانت تلك الدروس تسجل صوتياً، وبين أيدينا مجموعة منها تُعد بالعشرات.

---

(١) انظر: الأضواء (١/ ٥ ــ ٦).

(٢) معارج الصعود ص ١٢.

يقول أحد تلامذة الشيخ: «ومرة من المرات أحصيت أربعين مسجلاً للصوت تُسجل دروسه»[١]. اهـ.

إلا أن من المؤسف أن المتداول بين أيدينا منها يُعد ضئيلاً مقارنة بكثرة تلك الدروس! والظاهر أن جميع الدروس المسجلة في المسجد النبوي والمتداولة إنما هي من المرة الثانية من المرتين اللتين فسر فيهما الشيخ (رحمه الله) القرآن، وقد مات ولم يتمها وقد صرح (رحمه الله) بذلك عند تفسير الآية رقم (٩٩) من سورة الأعراف.

هذا وقد تطلبت ما سُجِّل من تلك الدروس العامرة فوقع لي منها سبع نسخ[٢]، في كل نسخة منها زيادات ــ ولو يسيرة ــ قد سقطت من النسخ الأُخرى، وبعد استعراض محتوياتها والمقارنة بينها صنعت من مجموعها نسخة مُكمَّلة تحوي جميع التفسير المسجل في تلك النُّسخ، وبهذا أمكن التخلص من كثير من المسح والانقطاع في التسجيل الواقع في كل نسخة مما وقفت عليه من تلك الدروس المسجلة، ثم رقمتها ترقيماً خاصاً وهو ما سأذكره قريباً ــ إن شاء الله تعالى[٣] ــ.

---

(١) نقله صاحب كتاب: جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ص ٦٩.

(٢) بعد المقارنات بين هذه النُسخ وتكرار سماعها تبين لي بما لا يدع مجالاً للشك أنها تدور على نسخة واحدة في الأصل قد سُجِّلت منها، وهي نسخة الشيخ عطية (رحمه الله) إلا أن قلة العناية بالتسجيل أدى إلى هذا التفاوت، والله المستعان.

(٣) ولتسهيل الوقوف على هذه النسخة بعثت بنسخة منها للمكتبة الصوتية في المسجد النبوي، كما تجدها أيضاً في تسجيلات البخاري بمكة، بالإضافة إلى بعض المواقع في الشبكة العنكبوتية، مثل:

١ ــ موقع رسالة الإسلام http://www.islammessage.com. =

ذكر محتويات الأشرطة التي أمكن الوقوف عليها:

إن مجموع ما بأيدينا من هذه الأشرطة المتعلقة بالتفسير يبلغ ستة وسبعين شريطاً موزعة على خمس سور من القرآن الكريم هي: (البقرة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، التوبة) وإليك عرضاً لمحتوياتها تفصيلاً.

أولاً: من سورة البقرة: وهي ثلاثة أشرطة:

الشريط رقم [١] فسر فيه الآيات: (٤٥) ـ (٥٣).

الشريط رقم [٢] فسر فيه الآيات: (٥٤) ـ (٥٩)، (٦٧) ـ (٦٩).

الشريط رقم [٣] فسر فيه الآيات: (٦٩) ـ (٧٩).

= ٢ ـ موقع السلفيون http://www.alsalafyoon.com.

* تنبيه: عند تصحيح طباعة هذا الكتاب وقفت على نسخة صوتية جديدة لهذه الدروس تفضل بها الشيخ الدكتور بسام الغانم فوجدت فيها بعض المادة التي ذهبت من النسخ الأخرى بسبب انقطاع التسجيل أو المسح، فألحقتها في مواضعها من الكتاب، وهي إجمالاً على النحو التالي:

١ ـ زيادة بقدر سطرين ضمن تفسير الآية (٣٥) من سورة الأعراف.

٢ ـ زيادة بقدر ثلاثة أسطر ضمن تفسير الآية (٤٥) من سورة الأعراف.

٣ ـ زيادة بقدر ورقتين ضمن تفسير الآية السابقة.

٤ ـ زيادة بقدر خمسة أسطر ضمن تفسير الآية (٤٨) من سورة الأعراف.

٥ ـ زيادة بقدر ثلاثة أسطر ضمن تفسير الآية (٥٢) من سورة الأعراف.

٦ ـ زيادة كثيرة بقدر شريط لمدة ساعة تقريباً ضمن تفسير الآية (٥٤) من سورة الأعراف.

٧ ـ زيادة بقدر نصف سطر ضمن تفسير الآية (٦٨) من سورة الأعراف.

٨ ـ زيادة بقدر سطر ضمن تفسير الآية (٨١) من سورة الأعراف.

obeikandl.com

وهذه الأشرطة ليست ضمن سلسلة دروس الشيخ (رحمه الله) في المسجد النبوي؛ وإنما سجلها تلميذه الشيخ عطية سالم (رحمه الله) في منزل الشيخ (رحمه الله) حين أقعده المرض عن إلقاء درسه في الجامعة، فكان هذا التسجيل للطلبة تعويضاً لهم من انقطاع الشيخ (رحمه الله) عنهم.

ثانياً: من سورة الأنعام:

الشريط رقم [١] فسر فيه الآيات: (٣٣) ـ (٣٨).

الشريط رقم [٢] فسر فيه الآيات: (٣٨) ـ (٤٢)، نصف الآية (٤٣) قوله: ﴿تَضَرَّعُواْ﴾.

الشريط رقم [٣] فسر فيه الآيات: (٤٣) ـ (٤٨).

الشريط رقم [٤] فسر فيه الآيات: (٤٩) ـ (٥٣).

الشريط رقم [٥] فسر فيه الآيات: (٥٣) ـ (٥٧).

الشريط رقم [٦] فسر فيه الآيات: (٥٧) ـ (٥٩)، (٧٤).

الشريط رقم [٧] فسر فيه الآيات: (٧٤) ـ (٨٢).

الشريط رقم [٨] فسر فيه الآيات: (٨٣) ـ (٨٩).

الشريط رقم [٩] فسر فيه الآيات: (٩٠) ـ (٩٣).

الشريط رقم [١٠] فسر فيه الآيات: (٩٣) ـ (٩٧).

الشريط رقم [١١] فسر فيه الآيتين: (٩٨) ـ (٩٩).

الشريط رقم [١٢] فسر فيه الآيات: (١٠٠) ـ (١٠٢).

الشريط رقم [١٣] فسر فيه الآيات: (١٠٣) ـ (١٠٨).

الشريط رقم [١٤] فسر فيه الآيات: (١٠٨) ـ (١١١).

الشريط رقم [١٥] فسر فيه الآيات: (١١٢) ـ (١١٦).

الشريط رقم [١٦] فسر فيه الآيات: (١١٦) ـ (١٢٠)، (١٢٨).

obeikandi.com

الشريط رقم [١٧] فسر فيه الآيات: (١٢٨) ـ (١٣١).
الشريط رقم [١٨] فسر فيه الآيات: (١٣١) ـ (١٣٥)، (١٤١) ـ (١٤٤).
الشريط رقم [١٩] فسر فيه الآيات: (١٤٤) ـ (١٤٦).
الشريط رقم [٢٠] فسر فيه الآيات: (١٤٦) ـ (١٥٠).
الشريط رقم [٢١] فسر فيه الآيتين: (١٥٠) ـ (١٥١).
الشريط رقم [٢٢] فسر فيه الآيات: (١٥١) ـ (١٥٢). بداية (١٥٥).
الشريط رقم [٢٣] فسر فيه الآيات: (١٥٥) ـ (١٥٨).
الشريط رقم [٢٤] فسر فيه الآيتين: (١٥٨) ـ (١٥٩).
الشريط رقم [٢٥] فسر فيه الآيات: (١٥٩) ـ (١٦٥).

ثالثاً: سورة الأعراف:

الشريط رقم [١] فسر فيه الآيات: (١) ـ (٣).
الشريط رقم [٢] فسر فيه الآيات: (٤) ـ (٧).
الشريط رقم [٣] فسر فيه الآيات: (٨) ـ (١١).
الشريط رقم [٤] فسر فيه الآية: (١١).
الشريط رقم [٥] فسر فيه الآيات: (٣١) ـ (٣٥).
الشريط رقم [٦] فسر فيه الآيات: (٣٥) ـ (٣٨).
الشريط رقم [٧] فسر فيه الآيات: (٣٨) ـ (٤٤).
الشريط رقم [٨] فسر فيه الآيات: (٤٤) ـ (٥٢).
الشريط رقم [٩] فسر فيه الآيات: (٥٢) ـ (٥٤).
الشريط رقم [١٠] فسر فيه الآيات: (٥٤) ـ (٦٢).
الشريط رقم [١١] فسر فيه الآيات: (٦٣) ـ (٧٢).

obeikandl.com

الشريط رقم [١٢] فسر فيه الآيات: (٧٣) ـ (٨١).
الشريط رقم [١٣] فسر فيه الآيات: (٨١) ـ (٨٩).
الشريط رقم [١٤] فسر فيه الآيات: (٨٩) ـ (٩٩).
الشريط رقم [١٥] فسر فيه الآيات: (٩٩) ـ (١٠١).
الشريط رقم [١٦] فسر فيه الآيات: (١٠١) ـ (١٠٦)، (١١٥) ـ (١٢٤).
الشريط رقم [١٧] فسر فيه الآيات: (١٢٤) ـ (١٣٥)، (١٣٧).
الشريط رقم [١٨] فسر فيه الآيات: (١٣٨) ـ (١٤٤).
الشريط رقم [١٩] فسر فيه الآيات: (١٤٨) ـ (١٥٥).
الشريط رقم [٢٠] فسر فيه الآيتين: (١٥٦) ـ (١٥٧).
الشريط رقم [٢١] فسر فيه الآيتين: (١٥٨) ـ (١٥٩).
الشريط رقم [٢٢] فسر فيه الآيات: (١٥٩) ـ (١٦٣).
الشريط رقم [٢٣] فسر فيه الآيات: (١٦٤) ـ (١٧٤).
الشريط رقم [٢٤] فسر فيه الآيات: (١٧٥) ـ (١٨١).
الشريط رقم [٢٥] فسر فيه الآيات: (١٨٢) ـ (١٨٩).
الشريط رقم [٢٦] فسر فيه الآيات: (١٨٩) ـ (١٩٩).
الشريط رقم [٢٧] فسر فيه الآيات: (١٩٩) ـ (٢٠٦).

رابعاً: من سورة الأنفال:

الشريط رقم [١] فسر فيه الآيات: (١) ـ (٧).
الشريط رقم [٢] فسر فيه الآيات: (٧) ـ (١١).
الشريط رقم [٣] فسر فيه الآيات: (١١) ـ (١٣)، (٢٤) ـ (٢٨).

obeikandl.com

الشريط رقم [٤] فسر فيه الآيات: (٢٩) ـ (٤١).
الشريط رقم [٥] فسر فيه الآية: (٤١) فقط.
الشريط رقم [٦] فسر فيه الآيات: (٤١) ـ (٤٤).
الشريط رقم [٧] فسر فيه الآيات: (٤٥) ـ (٥٠).
الشريط رقم [٨] فسر فيه الآيات: (٥٠) ـ (٦١).
الشريط رقم [٩] فسر فيه الآيات: (٦١) ـ (٦٩).
الشريط رقم [١٠] فسر فيه الآيات: (٧٠) ـ (٧٣).
الشريط رقم [١١] فسر فيه الآيات: (٧٣) ـ (٧٥).

خامساً: من سورة التوبة:

الشريط رقم [١] فسر فيه الآيات: (١) ـ (٧).
الشريط رقم [٢] فسر فيه الآيات: (٧) ـ (١٦).
الشريط رقم [٣] فسر فيه الآيات: (١٧) ـ (٢٥).
الشريط رقم [٤] فسر فيه الآيات: (٢٥) ـ (٢٨).
الشريط رقم [٥] فسر فيه الآيات: (٢٨) ـ (٣١).
الشريط رقم [٦] فسر فيه الآيات: (٣١) ـ (٣٥)، (٣٧).
الشريط رقم [٧] فسر فيه الآيات: (٣٨) ـ (٤٠).
الشريط رقم [٨] فسر فيه الآيات: (٤٠) وبعض (٤١)، ثم (٤٤) ـ (٥٧).
الشريط رقم [٩] فسر فيه الآيات: (٥٧) ـ (٦٣).
الشريط رقم [١٠] فسر فيه الآيات: (٦٣) ـ (٦٧).

الطريقة المتبعة في إخراج هذا التفسير:

أولاً: فيما يتعلق بتفريغ محتويات الأشرطة ومراجعتها:

obeikandl.com

١ ــ قمت باستخراج نسخة مسجلة تحوي جميع محتويات النسخ التي توفرت لدي.

٢ ــ فيما يتعلق بتفريغ محتويات هذه الأشرطة فقد وكلت ذلك إلى مجموعة من طلبة العلم الذين تفضلوا بالقيام بهذه المهمة.

٣ ــ بعد أن تم تفريغ محتويات الأشرطة قمت بمراجعتها، وذلك بالمقابلة بين المكتوب على الورق وبين التسجيل الصوتي، وذلك للتأكد من سلامة النص المُثبت. وقد التزمت أن لا تقل هذه المقابلة عن مرتين في كل شريط.

ثانياً: ما يتعلق بالتوثيق والعزو:

١ ــ قمت بترقيم الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث والآثار من مصادرها، وكذلك الشواهد الشعرية.

٢ ــ عملت على ذكر مصادر المادة العلمية التي يذكرها الشيخ (رحمه الله) من قراءات، وتصريف، وبلاغة، وإعراب، وأحكام، وقواعد، وغير ذلك مما تجده في حاشية الكتاب.

٣ ــ عَرَّفْتُ ببعض المصطلحات القليلة التداول، وبعض الكلمات الغامضة.

ثالثاً: ما يتعلق بمنهج الكتابة والتوثيق:

١ ــ إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو إلى أحدهما في حال التفرد.

٢ ــ عند ذكر مصادر القراءات، أو الشواهد، أو القواعد، أو المسائل العلمية، فإني أكتفي ــ غالباً ــ بذكر مصدر واحد، أو اثنين، أو ثلاثة، دون التوسع في هذا الباب.

obeikandl.com

٣ ــ أثبتُّ كلام الشيخ بنصه من غير تصرف إلا ما تقتضيه صناعة الإعراب، وفي هذه الحالات على الوجه الصحيح من غير إشارة إلى ذلك. وفي حال وجود انقطاع في التسجيل، أو مسح في الشريط، أو لفظة غير واضحة، فإني أضع مكان ذلك ما يتم به المعنى من كلام الشيخ في موضع آخر ــ إن وُجد ــ وإلا كملته بما يتناسب مع السياق، وأجعل ذلك بين معقوفتين [ ]، وهكذا فيما يقع من سبق اللسان، ثم أنبه إلى ذلك في الحاشية.

٤ ــ في بعض الأحيان يذكر الشيخ (رحمه الله) كلمة أو أكثر ثم يستدرك فيذكر كلاماً آخر، وفي هذه الحالة أترك الكلام الذي أعرض عنه الشيخ، وأُثبت كلام الشيخ بعد الاستدراك. كما أن الشيخ (رحمه الله) قد يكرر الجملة ليفهم السامع مراده أو يعيدها بعد الفراغ منها تأكيداً لمضمونها في ذهن المستمع وهذا أمر يحتاج إليه الملقي، لكن إن وقع في المادة المكتوبة فإنه يُخل بتتابع الكلام وترابط أجزائه؛ ولذا فإني ــ غالباً ــ أحذف الجملة المكررة التي لا تحمل أي فائدة زائدة من جهة المعنى ولا أُشير لذلك.

٥ ــ يوجد في آخر كل درس من دروس سورة البقرة سؤالات موجهة من الشيخ عطية لشيخه الأمين (رحمه الله)، وهي تتصل ببعض المواضع من الآيات المفسَّرة في الدرس نفسه، ثم يجيب الشيخ عنها. وقد قمت بوضعها في مواطنها التي تتصل بها (في الهامش) مع الإحالة عند موطنها من المتن على الهامش، وقد أَثْبَتُّ جواب الشيخ بنصه، أما السؤال فقد

obeikandl.com

أختصره أَو أُعيد صياغته.

٦ ــ إذا وقع للشيخ خطأ في الآية القرآنية فإني أصلحه دون الإشارة لذلك.

٧ ــ الأحاديث التي يوردها الشيخ (رحمه الله) أَثْبَتُّهَا كما نطق بها. مع أنه قد يذكرها بالمعنى في بعض الأحيان، وإنما اكتفيت بتخريجها.

٨ ــ فيما يتعلق بالشواهد والأشعار التي يوردها الشيخ (رحمه الله)، قد أجد مغايرة في بعض الألفاظ فيما بين ما نطق به الشيخ وما وقفت عليه من المصادر التي ذُكر البيت فيها. فإن وقفت في هذه الحالة على رواية للبيت توافق ما ذكره الشيخ اكتفيت بذلك وأثبتُّه كما قاله. وإلا أثبتُّه كما قاله الشيخ المفسر، وأشرت في الهامش إلى نوع المغايرة التي وقفت عليها.

أما إذا كان البيت من ألفية ابن مالك، أو مراقي السعود، أو غير ذلك من المنظومات العلمية فإني أُثبته كما في الأصل الذي أُخذ منه.

٩ ــ عند بداية كل وجه من تلك الأشرطة أضع علامة (/) مع كتابة رقم الشريط والوجه في البياض الأيسر من الصفحة، هكذا (١/ أ) أو (١/ ب) وهلم جراً.

١٠ ــ بعد كل درس يختم الشيخ (رحمه الله) بدعاء قدر نصف صفحة، وقد تركت نقل ذلك اختصاراً، ولأنه لا تعلق له بموضوع التفسير[١].

(١) وقد نقلت نص دعائه في أحد الدروس في آخر الكتاب.

obeikandl.com

رابعاً: فيما يتعلق بالفهارس:

كنت قد أعددت فهارس متنوعة تُقَرِّبُ مادة الكتاب لدى القراء، ثم عدلت عن ذلك لأمرين:

الأول: أن الكتاب لم يكتمل، ولا زلنا نأمل الحصول على مزيد من الدروس المسجلة للشيخ (رحمه الله)، وهذا يعني أنه بمجرد حصول زيادة في المحتويات يحصل إخلال في الفهارس من جهة أرقام الصفحات كما لا يخفى.

وهذا السبب بعينه هو الذي ألجأ إلى أن تكون الإحالات إلى المواضع السابقة واللاحقة في الحاشية مرتبطة بأرقام الآيات في السور.

الثاني: كنت قد عهدت لأحد الفضلاء من طلبة العلم[1] صناعة فهارس علمية شاملة لجميع ما ورَّثَه الشيخ (رحمه الله) من العلم، سواء كان أصل مادته مؤلفاً للشيخ، أو كان دروساً مسجلة كُتبت بعد ذلك، كبعض المحاضرات، أو هذا التفسير، بالإضافة إلى بعض الفتاوى الخطية التي كتبها الشيخ (رحمه الله) ولم تطبع بعد، وهذا يغني عن وضع فهارس خاصة لهذا الكتاب. ولتيسير الوقوف على الآية المطلوب تفسيرها قمت بترقيم الآيات بالإضافة إلى كتابة اسم السورة ورقم الآية المفسَّرة في رأس كل صفحة.

هذا، وقد سميته (العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير).

أسأل الله (عز وجل) أن ينفع به مَنْ كَتَبَه، أو قرأه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

(١) وهو الأستاذ زاهر الشهري حفظه الله.

شكر ورجاء

أشكر كل من أعان على إخراج هذا العمل برأي، أو فائدة، أو مقابلة، أو مراجعة، أو غير ذلك، ولا سيما إخواني الفضلاء الذين تكبدوا عناءً كبيراً في سبيل تفريغ محتويات الأشرطة على الورق.

فأسأل الله أن يُجزل لهم المثوبة ويعظم لهم الأجر ويختم لهم بالسعادة إنه قريب مجيب.

كما أرجو كل من وقف عليه ورأى فيه نقصاً أو خللاً أن يرشدني إليه وله مني الشكر والدعاء.

ثم من كان لديه مزيد على ما وقفت عليه من دروس الشيخ المسجلة ـ وهي المذكورة ضمن هذه المقدمة ـ فليطلعني عليه إتماماً لهذا العمل، ونشراً لعلم الشيخ (رحمه الله)، ومشاركة في بذل النفع للخلق.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

obeikandl.com

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه: خالد بن عثمان السبت

المدينة النبوية

٩/ رجب/ ١٤١٧هـ

obeikandl.com